﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾

[البقرة: 273]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمَّا ذَكَرَ الإنْفاقَ في سَبيلِهِ، ودعا المُؤْمِنينَ إلَيْهِ؛ بَيَّنَ لَهُمُ المَصارِفَ الَّتي يُنْفِقونَ فِيها

لَمَّا كَانَ غَالِبُ الأَحْكامِ السَّابِقَةِ التي ذُكِرَتْ في الإنْفاقِ مِنْ أَجْلِ المحَاويجِ، ولَمَّا بيَّنَ اللهُ تَعالى صَرْفَ الصَّدَقَةِ إلى الفُقَراءِ؛ بيَّنَ في هَذِهِ الآيَةِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ الفُقَراءِ اسْتِحْقاقًا بِصَرْفِ الصَّدَقَةِ إلَيْهِ والانْتِفاعِ بِها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُحۡصِرُواْ﴾: أي: مُنِعوا، وحُبِسوا[2]، والحَصِيرُ والمَحْصُورُ المَحْبُوسُ[3] وأصْل الحَصْر: الجمع والتَّضييق والمنْع[4]، والمعنى هنا: حبسوا عن التَّصرُّف في مَعايِشِهم؛ خَوفَ العَدُوِّ أو بالمرض[5].

2) ﴿ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: سفرًا وذهابًا، وهو مجاز عن السفر والذهاب فيها[6]، يقال: ضرب في الأرض؛ إذَا سَارَ فِيهَا مُسَافِراً؛ لأنَّ المسافر كالضارب الأرض برجله[7] أي: لا يَسْتَطِيعُونَ تِجارةً أو سفرًا[8].

3) ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾: تَرْك السُّؤال، والكفُّ عمَّا لا يحل[9]، وأصل عفَّ:

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/67، والبِقاعيّ، نظْمُ الدُّرر: 4/104.
(2) الأزْهريّ، تهْذيبُ اللُّغة: (حصر).
(3) ابْنُ عبّادٍ، المُحيطُ في اللُّغة: (صرح).
(4) ابْنُ فارِسٍ، مقاييسُ اللُّغة: (حصر)، جبل، المعجم الاشتقاقي: (حصر).
(5) السِّجِسْتاني، غريبُ القُرْآنِ، ص: 368، والنيسابوري، إيجازُ البيان: 1/172، والغزْنويّ، باهِرُ البُرْهان: 1/266.
(6) الزّبيديّ، تاجُ العروس: (ضرب).
(7) السّمين، عُمْدةُ الحُفّاظ: (ضرب).
(8) ابنُ جريرٍ، جامع البيان: 5/26، والسِّجِسْتاني، غريبُ القُرْآن، ص: 312، والراغب، المفردات: (ضرب).
(9) الخليل، العين: (عف).

الْكَفُّ عَنِ الْقَبِيحِ[1] والتَّعَفُّفُ: الصَّبْرُ والنَّزاهَةُ من الشَّيْءِ[2]، المعْنى هُنا: الكَفُّ عَنِ السُّؤالِ مِنَ النَّاسِ[3].

4) ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: بِعَلاماتِهِمْ وآثارِهِمْ؛ والسِّيمَا الْعَلامَةُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الخَيْرُ والشَّرُّ[4]، والوَسْمُ: التَّأْثِيرُ والسِّمَةُ الأَثَرُ[5]، وأَصْلُ وَسَمَ يَدُلُّ على أَثَرٍ ومَعْلَمٍ[6]، والمَعْنى هُنا: تَعْرِفُهُمْ بِعَلاماتِهِمْ مِنْ رَثاثَةِ الثِّيابِ، والجُوعِ الخَفِيِّ عَلى النَّاسِ[7].

5) ﴿إِلْحَافًا﴾: إلحاحًا، والإلْحافُ في المَسْأَلَةِ: الإلْحاحُ[8]، وأَلْحَفَ السَّائِلُ يُلْحِفُ إلْحافًا؛ إذا أَلَحَّ وأَبْرَمَ في المَسْأَلَةِ[9]، وأَصْلُ (لَحَف) يدل على اشْتِمالٍ ومُلازَمَةٍ[10]، ومِنْهُ اشْتُقَّ اللِّحافُ؛ لأَنَّه يَشْمَلُ الإنسانَ في التَّغْطِيَةِ[11]، والمَعْنى هُنا: لَيْسَ منهم سُؤَالٌ للناس؛ فَيَكونُ إلْحافٌ[12].

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

اجْعَلوا صَدَقَاتِكُمْ لِلْفُقَراءِ الذينَ لا يَسْتَطيعونَ السَّفَرَ؛ طَلَبًا لِلرِّزْقِ لاشْتِغالِهِمْ بِالجِهادِ في سَبيلِ اللهِ، يَظُنُّهُمْ مَنْ لا يَعْرِفُهُمْ ومَنْ لا يتفقَّدُ المساكين غَيْرَ مُحْتاجينَ إلى الصَّدَقَةِ؛ لِكَفِّهِمْ عَنِ السُّؤالِ تَنَزُّهًا، ويَعْرِفُهُمُ المُطَّلِعُ عَلَيْهِم بِعَلاماتِهِمْ، مِنْ آثارِ الحاجَةِ الظَّاهِرَةِ على أَجْسامِهِمْ وثِيابِهِمْ، ومِنْ صِفاتِهِمْ أَنَّهُمْ لَيْسوا كَسائِرِ الفُقَراءِ الذينَ يَسْأَلونَ النَّاسَ مُلِحِّينَ في مَسْأَلَتِهِمْ، وإن سألوا اضطرارًا لم

الفَقيرُ المُتَعَفِّفُ الـعَـاجِـزُ عَـنْ طَلَبِ رِزْقِـهِ هُوَ أَوْلى الـنَّـاسِ بِـالـصَّـدَقـاتِ وأَحْراهُمْ بِالمَبَرَّاتِ

(1) ابْنُ فارِسٍ، مقاييسُ اللُّغة: (عف).
(2) الزَّبيديّ، تاجُ العروس: (عف).
(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: 3/264.
(4) الأَزْهريّ، تهْذيبُ اللُّغة: (سمو) وابْنُ منْظورٍ، لِسانُ العرب: (سوم).
(5) الرّاغِب، المُفْردات: (وسم).
(6) ابْنُ فارِسٍ، مقاييسُ اللُّغة، والرّاغِب، المُفْردات: (وسم)، وابْنُ الهائِم، التِّبْيانُ في تفْسيرِ غريبِ القُرْآن، ص: 116.
(7) ابنُ جريرٍ، جامع البيان: 5/597.
(8) الخليل، العين، والمحكم والمحيط الأعظم: (لحف).
(9) ابْنُ دُريْدٍ، جمْهرةُ اللُّغة: (حفل).
(10) ابْنُ الهائِم، التِّبْيانُ في تفْسيرِ غريبِ القُرْآن، ص: 116.
(11) الزّبيديّ، تاجُ العروسِ 24/358.
(12) ابْنُ الجوْزيّ، زادُ المسير: 1/246.

يُلِحُّوا في السؤال، وما تَبْذلوا مِنْ مَعْروفٍ في سَبيلِ اللّهِ فلا يَخْفى عَلى اللّهِ شَيءٌ مِنْهُ، وسَيُجازيكُمْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الجَزاءِ وأوفاه[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

براعةُ الاسْتِئْنافِ البيانيِّ في تثوير الأذهانِ والرَّبط بين الجملِ:

العنايةُ بحقِّ الفقيرِ له حقُّ الصَّدارةِ وأصلُ الرِّعايةِ

جاءتْ جُمْلَةُ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جوابًا عن سؤالِ سائلٍ، فكَأَنَّهُ قيلَ: هَذِهِ الصَّدَقاتُ التي يُحَثُّ عَلَيْها لِمَنْ هِيَ؟ فَأُجيبَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾، فالجملةُ استئنافيَّةٌ؛ ولِذا تُرِكَ العَطْفُ لِتَعَلُّقِ الكَلامِ بِما قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى: بـ ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾، وَتَعَلُّقُهُ بِهِ يُؤْذِنُ بتعلّق مَعْنَاهُ بِنَظَائِرِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَمَا مِنْ نَفَقَةٍ ذُكِرَتْ آنِفًا إِلَّا وَهِيَ لِلْفُقَرَاءِ؛ لِأَنَّ الْجُمَلَ قَدْ عَضَّدَ بَعْضُهَا بَعْضًا[2]، وفي هَذا مَزيدُ عِنايَةٍ واهْتِمامٍ بِحَقِّ الْمُحْتاجِ والفَقيرِ، وَقَدْ دَلَّ عَلى تِلْكَ العِنايةِ وذاكَ الاهْتِمامِ تَأْكيدُ الخَبَرِ بِاسْمِيَّةِ الجُمْلَةِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾.

أثرُ الإيجازُ بالحذفِ في بيانِ الخبرِ في معنى الإنشاءِ:

المَقاصِدُ والنِّياتُ أُسُسُ الأَعْمالِ، وعُمَدُ المَبَرَّاتِ

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إيجازٌ بِالحَذْفِ؛ فَالجارُّ والمَجْرورُ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ مُتعلِّقٌ بِمَحْذوفٍ يُفْهَمُ مِنَ السِّياقِ، والتَّقْديرُ: اقْصُدوا الفُقراءَ، أَوِ اعْمَدُوا، فَالجُمْلَةُ خَبَريَّةٌ في ظاهِرِها إِنْشائِيَّةٌ في مَعْناها.

وَإِنَّما كانَ التَّقديرُ هُنا: (اقْصُدوا الفُقراءَ أَوِ اعْمَدُوا) عِنْدَ كَثيرٍ مِنَ المُفَسِّرينَ بَدَلَ أَنْفِقوا لِلْفُقَراءِ، مَعَ أَنَّهُ المُنَاسِبُ لِلسِّباقِ والسِّياقِ، لِلتَّنْبيهِ عَلَى أَنَّ القَصْدَ والعَمْدَ هُوَ العُمْدَةُ في الصَّدَقاتِ وسَائِرِ المَبَرَّاتِ[3].

(1) عبْدُ اللهِ الزّيد، مُخْتصرُ تفْسيرِ البغويّ: 1/106، ولجْنةٌ مِنْ عُلماءِ الأزْهر، المُنْتخبُ في تفْسيرِ القُرآنِ الكريمِ، ص: 65، ونُخْبةٌ مِنْ العلماء، التّفْسيرُ الميْسّرُ، ص: 46، وجماعةٌ مِنْ عُلماءِ التّفْسير، المُخْتصرُ في تفْسيرِ القُرْآنِ الكريمِ 46.

(2) ابْنُ عاشورٍ، التّحْريرُ والتّنْوير: 3/74.

(3) البيْضاويّ، أنْوارُ التّنْزيل: 1/161، والقونْويّ، حاشيةُ القونْويّ على البيْضاويّ: 5/456.

سرُّ استعمالِ مفردةِ الحَصْرِ دون الحَبْسِ:

الحَصْرُ حَبْسٌ وتَضْييقٌ يَمْنَعُ التَّصَرُّفَ أَوْ يُعيقُ

اختارَ النَّظمُ فعلَ الإحصارِ في وَصْفِ الفُقَراءِ: ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ﴾، ولَمْ يَقُلْ: (حُبِسُوا)؛ لِأَنَّ الحَبْسَ مَنْعٌ، والحَصْرَ مَنْعٌ مَعَ تَضْييقٍ، فَيُقالُ: حَصَرَهُمْ في البَلَدِ، أي: حَبَسَهُمْ، وضَيَّقَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ إذا فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ مَنَعَهُمْ عنِ الانْفِساحِ في السَّعْيِ والسَّفَرِ والتَّصَرُّفِ في الأُمورِ، وضَيَّقَ عَلَيْهِمْ مَعايشَهُمْ، فَهُوَ حَبْسٌ مَعَ تَضْييقٍ، ولا يُقالُ: حُصِرَ دونَ أَنْ يُضَيَّقَ عَلَيْهِ، فَهُوَ في ضِيقٍ[1]، فدلالةُ حصَرَ أشدُّ من دلالةِ حبَسَ، وهي تصوِّرُ حالةَ الفقراءِ وما تعرَّضوا له من الضَّعفِ في ذواتِهم وقدراتِهم، أو من غيرِهم؛ لِذلك خَصَّ كَثيرٌ مِنَ المُفَسِّرينَ هَذا المَعْنى في الآيَةِ الكَريمَةِ بِالْمُجاهِدينَ في سَبيلِ اللّٰهِ الذينَ حَصَرَهُمُ العَدُوُّ، وحاصَرَهُمْ، ومَنَعَهُمْ مِنَ السَّيْرِ في الأَرْضِ لِلتَّصَرُّفِ والاتِّجارِ، وطَلَبِ الرِّزْقِ، فَمُنِعوا عَنِ التَّصَرُّفِ في مَعايشِهِمْ خَوْفَ العَدُوِّ.

أثرُ الفَصْلِ بين الجملِ في بيانِ المعنى:

الفَصْلُ لِلِاتِّحادِ في الإِخْبارِ وبَيانِ أَثَرِ الإِحْصارِ

تحتملُ جملةُ: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أن تكون بيانًا للجملةِ السَّابقة: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ﴾، أو حالًا لها، فإذا كانت بيانًا فهي مفصولةٌ لِكَمالِ اتِّصالِها بها، فَهِيَ تَبيِّنُ وصفَ هَؤُلاءِ الفُقَراءِ، وتُفَصِّلُهُ؛ فَجيءَ بِالْفَصْلِ بَيْنَ جُمْلَةِ ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا﴾، ومَا قَبْلَهَا لِاتِّحادِ الجُمْلَتَيْنِ في الإِخْبَارِ بِالفَقْرِ وأَثَرِ الإِحْصَارِ.

بعضُ الأغنياءِ يراوغون في الصَّدقاتِ ويطلُبون الإقناعَ

أو تكون الجملةُ استئنافًا بيانيًّا؛ فكأنَّ سائلًا قد سأل: لماذا لا يُسافرون لتحصيلِ أرزاقِهم؟ فكان الجواب: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وممَّا يُقوِّي ذلك قولُه: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾، فهم لا يَمتلِكُون الحيلةَ في طلبِ الرِّزقِ، ولا يقدرون على السَّفرِ، ويزهدون في الطَّلبِ لتحصيلِ

(1) العسكري، الفروق اللغوية: 1/114.

قوتِ يومِهم، وهذا الوجه قويٌّ لما فيه من جوابٍ عن مرواغةِ الأغنياءِ في الكسَلِ عن إعانةِ الفقراءِ.

أو تكون في مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ أُحْصِرُوا؛ أَيْ: أُحْصِرُوا عَاجِزِينَ، لِتُبَيِّنَ بذلك حالَةَ هؤُلاءِ الفُقَراءِ، وقِلّةَ ذاتِ أَيْديهِمْ بِسَبَبِ إِحْصارِهِمْ عَنِ السَّعْيِ في طَلَبِ المَعاشِ الذي بِهِ تَصْلُحُ أَحْوَالُهُمْ.

قِيمَةُ الكنايةِ في تحريكِ النُّفوسِ:

مـعـرفـةُ قـلّـةِ حيلةِ الفقراءِ في تـحـصـيـلِ معاشِهم يقوّي الإحـسـانَ عند الأغنياءِ

لبَيانِ أَثَرِ الضِّيقِ والإحْصارِ جِيءَ بِالْكِنَايَةِ في قولِه تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾، حَيْثُ عَبَّرَ بالضَّرْبِ في الأَرْضِ عَنِ التِّجارَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ التَّاجِرِ أَنْ يُسافِرَ لِيَبْتاعَ ويَبيعَ، فَهُوَ يَضْرِبُ الأَرْضَ بِرِجْلَيْهِ أَوْ دابَّتِهِ[1]، ولَكِنَّهُ مَعَ الإحْصارِ حُبِسَ، وتَقَيَّدَتْ حَرَكَتُهُ، فَكَأَنَّه مَمْنوعٌ حَتَّى مِنَ الحَرَكَةِ، وكُلُّ هَذِهِ الأَوْصافِ والأَحْوالِ تُوجِبُ الحُنُوَّ عَلى مَنْ هذا حَالُهُ، والشَّفَقَةَ بِهِ، فإنَّ الآيةَ لم تقتصرْ على ذكرِ الإحصارِ، بل جاوزته إلى زيادةِ بيانٍ تفصيليٍّ، لجواب من يسألُ عن حالِهم.

نكتةُ إيثارِ صِيغَةِ المُبالَغةِ في قَوْلِه: ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾:

المُـبـالَـغَـةُ في العَـفافِ عَلامَةُ الأَشْرافِ

جيءَ بصيغةِ التَّفعُّلِ في لفظِ: ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾ وهي صيغةُ مُبالَغَةٍ؛ إذِ التعفُّفُ تفعُّلٌ من العفة، وَهو تَكَلُّفُ العفاف، فَهُوَ بِنَاءُ مُبَالَغةٍ مِنْ عَفَّ عَنِ الشَّيْءِ؛ إذا أَمْسَكَ عَنْهُ، وتَنَزَّهَ عَنِ طَلَبِهِ[2].

ولَمْ يَقُلْ: (مِنْ تَعَفُّفِهِمْ) إشارَةً إلى اتِّصافِهِمْ بِأَبْلَغِ وُجوهِ التَّعَفُّفِ وكَمالِ الرُّسوخِ فيه، ولإفادَةِ الاجْتهادِ في العِفَّةِ[3]؛ لِأَنَّ تَعَفُّفَ المُحْتاجِ (المُضْطَرِّ) إلى المَسْأَلَةِ، لَيْسَ كَتَعَفُّفِ مَنْ لَمْ تَبْلُغْ بِهِ الحاجَةُ إلى السُّؤالِ، فَأَفادَ أَنَّ هَؤلاءِ لَمْ يَتّصفُوا بِتَعَفُّفِهِمُ اللَّائِقِ بِهِمْ، بَلِ

(1) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/75.
(2) القِنّوْجيّ، فتْحُ البيان: 2/135.
(3) البِقاعيّ، نظْمُ الدُّرر: 4/106.

اتَّصَفوا بِالتَّعَفُّفِ الإِجْمالِيِّ[1]، فَهُمْ مُتَعَفِّفونَ في سائِرِ الأَحْوالِ وفي كُلِّ الأَزمانِ.

ومِمَّا يَدُلُّ على هَذا الاتِّصافِ اللَّازِمِ مَجِيءُ جُمْلَةِ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾ حَالًا مِنَ الْفُقَرَاءِ، و﴿مِنَ﴾: السَبَبِيَّةُ التي تَدُلُّ على أَنَّ الحامِلَ عَلَى حُسْبَانِهِمْ أَغْنِيَاءَ هُوَ تَعَفُّفُهُمْ؛ لِأَنَّ عادَةَ مَنْ كانَ غَنِيَّ مالٍ أَنْ يَتَعَفَّفَ، وَلَا يَسْأَلَ[2].

أثرُ فنِّ الطِّباقِ في إبرازِ أصنافِ النَّاسِ:

يُوحي الطِّباقُ بَيْنَ لَفْظَتَيْ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ و﴿أَغْنِيَآءَ﴾ برُسوخِ صِفَةِ العِفَّةِ في أُولَئِكَ الفُقَراءِ حَتَّى صَيَّرَتْهُمْ في حُسْبانِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَغْنِيَاءَ، وهذا التَّصنيفُ يُبرزُ أثرَ التَّعفُّفِ في الحفاظِ على كرامةِ المسلمِ، فإنَّ الغنيَّ أولى النَّاسِ معرفةً بالفقيرِ، وبحالِه التي عليها، ومع ذلك فهو يقع في دائرةِ الجهلِ لشدَّةِ تعفُّفِ الفقيرِ، ففي الآيةِ إشارَةٌ إلى أنَّ التَّعفُّفَ يحمي الفقراءَ من لمزِ غيرِهم، وأنَّ اللهَ يتولَّى سَوْقَ الرِّزقِ لهم.

على الفقيرِ التَّعفُّفُ، والرِّزقُ على اللهِ وحدَه

براعةُ ترتيبِ الجملِ بعضِها على إثرِ بعضٍ:

عند ذكرِ جهلِ حالِ الفقيرِ في قولِه: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ لسائلٍ أن يسألَ عن كيفيَّةِ معرفتِهم لإعانتِهم، فكان الجَوابُ في البَيانِ المَذْكورِ بَعْدَ ذَلِكَ في قَولِهِ تَعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، والسِّيما: هي العلامة الخفيَّة التي تتراءى للمستبصر[3]، فَأُحيلَ ذَلِكَ على مَظِنَّةِ المتأمِّلِ[4]، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: 75].

الحفاظُ على أخلاقِ الفقراءِ والأغنياءِ من الرَّذائلِ سياجُ قبولِ الصَّدقةِ

وَمَعْنَى ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، أَيْ: بِعَلَامَةِ الْحَاجَةِ، وَالْخِطَابُ لِغَيْرِ

(1) ابْنُ عرفة، تفْسيْر ابْن عرفة: 1/323.
(2) أبو حيّان، البحْرُ المُحيط: 2/697.
(3) البِقاعيّ، نظْمُ الدُّرر: 4/105.
(4) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/75.

مُعَيَّنٍ؛ لِيَعُمَّ كُلَّ مُخَاطَبٍ، وَلَيْسَ لِلرَّسُولِ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بحالهم، والمخاطب بتعرفهم: هُوَ الَّذِي تَصَدَّى لِتَطَلُّعِ أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ، فَهُوَ الْمُقَابِلُ لِلْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ﴾، فالْجُمْلَةُ إذن بَيَانٌ لِجُمْلَةِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ[1]، وفي هذا دعوةٌ أن يكونَ في المجتمعِ المسلمِ من يعرفُ الفقراءَ (الأُسر المستورة)؛ لإعانتهم بالخفاءِ، بحيث يكون هناك وسيطٌ بينهم وبين الأغنياءِ، وفي ذلك حفاظٌ على أخلاقِ الفقيرِ من رذيلةِ الحاجةِ، وعلى أخلاقِ الغنيِّ من رذيلةِ الكبر.

نكتةُ نَفْيِ الشَّيْءِ بِإِيجابِهِ:

الفَاضِلُ المُتَعَفِّفُ لا يَسْأَلُ ولَا يُلْحِفُ

قَوْلُهُ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ فيهِ مِنْ بَدِيعِ البيانِ في نَظْمِ القُرْآنِ: ما يُسمَّى بـ (نَفْيِ الشَّيْءِ بِإِيجابِهِ)، وهُوَ إِثْباتُ شَيْءٍ في ظاهِرِ الكَلامِ، ثُمَّ نَفْيُ ما هُوَ مِنْ سَبَبِهِ؛ فَفي هَذِهِ الآيَةِ: المَنْفِيُّ في ظاهِرِ الكَلامِ هُوَ الإِلْحافُ في السُّؤالِ، لا نَفْسُ السُّؤالِ مَجازًا، والمَنْفِيُّ في بَاطِنِ الكَلامِ حَقِيقَةُ نَفْسِ السُّؤالِ؛ إِلْحافًا كانَ أَوْ غَيْرَ إِلْحافٍ، وقَدْ يَرِدُ نَفْيُ الشَّيءِ في القُرآنِ مُقيَّدًا، والمرادُ نفيُه مُطْلقًا؛ كَمَا نَفَى هُنا عَنْهُمُ السُّؤالَ بِنَفْيِ صُورَةٍ مُسْتَكْرَهَةٍ، وهِيَ الإِلحَافُ في المَسْأَلَةِ، والمَقْصُودُ نَفْيُ السُّؤالِ مُطْلَقًا[2]، ونكتةُ ذلك: المبالغةُ في النَّفي المستوجبُ للمدْحِ، مع التَّعريضِ بمن يُلحفُ في السُّؤالِ، ونَظيرُهُ في القُرآنِ الكَريمِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: 18]، أَيْ: لا شَفيعَ أَصْلًا، ومِنْ ثَمَّ انْتَفَى الشَّفيعُ فَلا إِطاعَةَ[3].

والمَعْنى: أَنَّهُمْ لا يَسْأَلُونَهُمْ أَلْبَتَّةَ، لا بِإِلْحاحٍ، ولا بِغَيْرِهِ، وإِلَيْهِ ذَهَبَ جُمْهورُ المُفَسِّرينَ[4]، ومَجِيءُ الإِلْحافِ المَنْفِيِّ فيها لِلمُبَالَغَةِ والتَّوْكيدِ في نَفْيِ السُّؤَالِ، فَهِيَ كالتَّذْييلِ والتَّتْميمِ[5].

(1) ابْنُ عاشورٍ، التَّحريرُ والتَّنْويرُ: 3/75.
(2) خالد السّبت، قواعِدُ التّفْسير: 2/527، ومُؤسّسةُ الدُّررِ السّنيةِ بِإِشْرافِ علوي السّقاف، التّفْسيرُ المُحرّرُ لِلْقُرآنِ الكريم: 1/761.
(3) ابْنُ عاشورٍ، التَّحريرُ والتَّنْوير: 3/76، وعادِل الزّويني، مِنْ غريبِ بلاغةِ القُرآنِ الكريمِ في سورتي الفاتِحةِ والبقرةِ 633.
(4) القِنّوْجيّ، فتْحُ البيان: 2/136.
(5) حاشيةُ القونويّ على البيْضاويّ: 5/458

بلاغةُ اجتماعِ التَّصريحِ والتَّعريضِ في سياقٍ واحدٍ:

قال ابْنُ عَرَفَةَ: يَنْبَغي أَنْ يُوقَفَ على قَوْلِه: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، أَيْ: يَبْلُغونَ في شِدَّةِ صَبْرِهِمْ وتَجَلُّدِهِمْ على الفَقْرِ[1]؛ فَهُوَ مَدْحٌ وتَأْكيدٌ لِصَبْرِهِم المُشارِ إِلَيْهِ بِالتَّعَفُّفِ مِنْ قَبْلُ، كَما أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يَتَعَفَّفُونَ عَنِ السُّؤَالِ، فعُلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَسْأَلُونَ الْبَتَّةَ، تَعَيَّنَ أَنَّ في قَوْلِه: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ تَعْرِيضًا بِالْمُلْحِفِينَ في السُّؤَالِ، والْمُرَادُ التَّنْبِيهُ عَلَى سُوءِ طَرِيقَةِ مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ إِلْحَافًا، وَمِثَالُهُ إِذَا حَضَرَ عِنْدَكَ رَجُلَانِ: أَحَدُهُمَا عَاقِلٌ وَقُورٌ ثَابِتٌ، وَالْآخَرُ طَيَّاشٌ مِهْذَارٌ سَفِيهٌ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَمْدَحَ أَحَدَهُمَا، وَتُعَرِّضَ بِذَمِّ الْآخَرِ، قُلْتَ: فُلَانٌ رَجُلٌ عَاقِلٌ وَقُورٌ قَلِيلُ الْكَلَامِ، لَا يَخُوضُ في التُّرَّهَاتِ، وَلَا يَشْرَعُ في السَّفَاهَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ غَرَضُكَ مِنْ قَوْلِكَ: لَا يَخُوضُ في التُّرَّهَاتِ وَالسَّفَاهَاتِ وَصْفَهُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ يُغْنِي عَنْ ذَلِكَ، بَلْ غَرَضُكَ التَّنْبِيهُ عَلَى مَذَمَّةِ الثَّانِي[2].

نَفْيُ السُّؤالِ والإلْحافِ مَدْحٌ للصَّابِرينَ وتَعْريضٌ بِالمُلْحِفينَ

التَّكْرارُ لِلتَّحْريضِ على الإنْفاقِ:

فَفي قَوْلِه تَعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ إعادَةُ حَضٍّ عَلى الإنْفاقِ، حَيْثُ ذُكِرَ مَرَّةً رابِعَةً في خِتامِ هَذِهِ الآيَةِ بَعْدَما ذُكِرَ ثَلاثًا في الآيَةِ قَبْلَهَا؛ وَقَدْ حَصَلَ بِمَجْموعِ هَذِهِ المَرَّاتِ الأَرْبَعِ مِنَ التَّحْريضِ عَلى الإنْفاقِ ما أَفادَ شِدَّةَ فَضْلِ الإنْفاقِ بِأَنَّهُ نَفْعٌ لِلْمُنْفِقِ، وصِلَةٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ، ونَوالٌ لِلْجَزاءِ مِنَ اللهِ، وأَنَّهُ ثابِتٌ لَهُ في عِلْمِ اللهِ[3].

قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ كِنايَةٌ عَنِ الجَزاءِ عَلَى الإنفاقِ؛ لِأَنَّ العِلْمَ يُكَنَّى بِهِ عَنْ أَثَرِهِ كَثيرًا، فَلَمَّا كانَ الإنْفاقُ مُرَغَّبًا فيهِ مِنَ اللهِ، وكانَ عِلْمُ اللهِ بِذلِكَ مَعْروفًا لِلْمُسْلِمينَ، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الإخْبارُ بِأَنَّهُ

الكِنايَةُ بِالْعِلْمِ عَلى أَثَرِهِ لِلتَّرْغيبِ في العَمَلِ ومُجانَبَةِ الوَهَنِ والكَسَل

(1) ابْنُ عرفة، تفْسيرُ ابْنِ عرفة: 1/323.
(2) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/77، والسّمين، الدُّرُّ المصون: 2/623.
(3) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/77، والقونْويّ، حاشيةُ القونْويّ على البيْضاويّ: 5/460.

عَليمٌ بِهِ، أَنَّهُ عَليمٌ بِامْتِثالِ المُنْفِقِ، أَيْ: فَهُوَ لا يُضيِّعُ أَجْرَهُ؛ إِذْ لا يَمْنَعُهُ مِنْهُ مانِعٌ بَعْدَ كَوْنِهِ عَليمًا بِهِ؛ لِأَنَّهُ قَديرٌ عَلَيْهِ[1]، وأَكَّدَ هذا المَعْنى تَأْكيدُ الخَبَرِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِإِنَّ واسْمِيَّةِ الجُمْلَةِ ووُرودِهِ بِصيغَةِ المُبالَغَةِ.

قال ابْنُ عَرَفَةَ: "قَالوا: إِنَّ العَبْدَ يُفَرِّقُ بَيْنَ حالَةِ طاعَتِهِ لِسَيِّدِهِ، وهُوَ حاضِرٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وبَيْنَ حالَةِ طاعَتِهِ لَهُ في غَيْبَتِهِ، فَمَعَ الحُضورِ يَجْتَهِدُ أَكْثَرَ"[2].

وفي كُلِّ هذا تَرْغيبٌ في الإِنْفاقِ وَحَثٌّ على الصَّدَقَةِ، لا سِيما على هَؤُلاءِ[3] الذينَ قَصَدَهُمُ النَّبيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: "لَيْسَ المِسْكينُ الذي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ واللُّقْمَةُ واللُّقْمَتانِ، إِنَّما المِسْكينُ الذي يَتَعَفَّفُ، واقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾"[4]، وبِهذا يُعْلَمُ كَيْفَ أَنَّ القُرْآنَ لَمْ يُغادِرْ شَيْئًا مِنَ الحَثِّ عَلى إِبْلاغِ الصَّدَقاتِ إِلَى أَيْدِي الفُقَراءِ، إِلَّا وَقَدْ جاءَ بِهِ، وَأَظْهَرَ بِهِ مَزيدَ اعْتِناءٍ[5].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القُدْرَة والاِسْتِطاعَة:

القُدْرَةُ على الشَّيْءِ: مُلْكُهُ[6]، والاسْتِطاعَةُ: هِيَ اسْتِفْعالٌ مِنَ الطَّاعَةِ، وَالانْقِيادِ[7]، فالاسْتِطاعَةُ طَاعَةُ الجَوارِحِ لِلْفِعْلِ والانْقيادُ لَهُ، ويُقالُ: أَطاعَهُ؛ إِذا انْقادَ لَه، فَهِيَ انْطِباعُ الجَوارِحِ لِلْفِعْلِ، فَتَكونُ الاسْتِطاعَةُ أَخَصَّ مِنَ القُدْرَةِ، فَكُلُّ مُسْتَطيعٍ قادِرٌ، ولَيْسَ كُلُّ قادِرٍ مُسْتَطيعًا، فيقال: فلان قادر على فعل الشيء، لكن لا يستطيعه لمانع يمنعه[8].

(1) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/76، والهرري، حدائِقُ الرّوْحِ والرّيْحان: 4/99.
(2) ابْنُ عرفة، تفْسيرُ ابْنِ عرفة: 1/323.
(3) القِنّوْجيّ، فتْحُ البيان: 2/136، والآلوسّي، روحُ المعاني: 2/46.
(4) أخرجه البُخاري، حديث رقم: (1476)، ومُسْلِم، حديث رقم: (1039).
(5) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/76.
(6) ابْنُ منْظور، لِسانُ العرب: (قدر).
(7) ابْنُ فارِسٍ، مقاييسُ اللُّغة: (طوع)، والجوهري، الصحاح: (طوع).
(8) العسكري، الفروق اللغوية: 1/110.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»